وهذه الكنيسة لا تقل أهمية من الوجهتين التاريخية والفنية عن الكنيسة المعلقة وكانت أولى كنائس مصر بعد دير أبى مقار، يقيم بها البطاركة القداس بعد تكريزهم فى الإسكندرية وقد تهدمت فى القرن العاشر وأعاد بناءها هى وكنيسة الست بربارة «يوحنا بن الايح». وتقع هياكل الكنيسة فى القسم الشرقى وبأسفله المغارة وحجاب الهيكل القبلى مطعم بالسن والعاج. أما الحجاب الذى يفصل الكنيسة عن الهيكل الأوسط فيرجع تاريخه إلى القرن الثالث عشر وهو مطعم بالعاج وعليه نقوش جميلة وبه خمس قطع بها نقوش بارزة، ثلاث منها على اليمين تمثل: الأمير تادرس، مار جرجس والقديس ديمتريوسى، واثنتان على اليسار تمثلان ميلاد المسيح ومعجزة الخبز والسمك ويرجع تاريخ هذه القطعة إلى القرن العاشر. وبصحن الكنيسة منبر رخامى يقوم على عشرة عمد وقد جدد حديثًا وكان قبله منبر خشبى نقلت بقاياه إلى المتحف القبطى.

***

كنيسة الست بربارة

تقع بالقرب من كنيسة أبى سرجة والمتحف القبطى وقد تأسست فى أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس وكرست باسم الست بربارة ابنة ديفوروس أحد أغنياء مدينة نيكوميديا بآسيا الصغرى وقد اعتقنت المسيحية على يد العلامة أوريجانس المصرى فى أوائل القرن الثالث الميلادى وكان والدها وثنيًا فعابت عليه عبادته للأوثان فغضب عليها وقتلها.

وكانت تعد هذه الكنيسة من أجمل كنائس القبط بمصر وقد تهدمت فى القرن العاشر وأعاد بناءها وكنيسة أبى سرجة «يوحنا بن الايح» وقد عثر على

بابهـا القديم وعلى أحـجبة فـاطميـة جميـلة أودعت بالمتحف القـبطى. ومما يسترعى النظر فيها حجاب الـهيكل المتوسط، فهو مطعم بالعاج الدقيق الصنع ويرجع تاريخه إلى القـرن الثالث عشر وأمـامه منبر رخامى يرتكز علـى عشر عمد رخامية. وقد عنيت إدارة حفظ الآثار الإسلامـية بهذه الكنيسة فأصلحتها وكادت أن تندثر وجددت وجهتها.

* * *

كنيسة القدس مرقوريوس

تعرف أيضًا بأبى السيفين وتعتـبر من أهم كنائس الفسطاط من الناحيتين الفنية والتاريخية وقـد هدمت مع ما هدم من الكنائس فى القرن الثامن - وفى عام ٩٧٠ - جـددها الأنبا إبرام السـريانى البطريرك الثانى والسـتون فى زمن المعـز لدين الله الفاطمى، وقـد عنى بها أبو الفـضل المعروف بابن الأسـقف كاتب سر الأفضل شاهنشـاه بن بدر الجمالى، وفى عام ١١٦٨م أحرقت هذه الكنيسة ضـمـن حريق الفسطاط ولم ينج من الحريق إلا كنيسة صـغيرة باسم مار جرجـرس بأعلى الجناح القبلى عمَّرها الشيخ أبو الفـضل يوحنا بن كثيل الأسـقف عام ١١٧٤م وفى عـام ١١٧٦م رمم الكنيـسة الكـبرى الشـيخ أبو البركات بن أبى سعيد هيلان واستبدل بالعـمد الرخامية أكتافًا من الآجر تحمل الأسقف كما شيد القباب التى تعلو الهياكل.

ومما يلفت النظر فى الكنيـسة، جـمال نجـارة الأحجبـة المطعمـة بالسن والأبنوس ويرجع تاريخها إلـى القرنين الثالث عشر والرابع عـشر وفى خارج الكنيـسة شرقى الحـوش كنيسـة أخرى عليـها اسم يوحنا المعـمدان ويعـقوب المقطع، وفى الجهة القبليـة منها معمودية عليها حـجاب من الخشب به نقوش بارزة.

ضاحيتا الفسطاط

عسكر بنى العباس[1]

وقطائع بنى طولون

حينما كانت الفسطاط عاصمة مصر الإسلامية (١٢٣هـ - ٧٥٠م) فر مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين إلى مصر لينجو بنفسه ضد منازعة أبى العباس الهاشمى أول خلفاء العباسيين، فلما وصل إلى مصر أشعل رجاله النار فى الفسطاط وفى القنطرة التى كانت تصلها بجزيرة الروضة. واتجه إلى شاطئ النيل الغربى، لكن ذهبت تدابيره عبثًا، لأن القائد العباسى ورجال خراسان أدركوا ما عزم عليه ولحقوا به بسرعة فى قرية بوصير وقتلوه. ثم

(١) فى الأصل المعسكر كما جاء فى فتوح مصر لابن عبد الحكم. وكان يمتد العسكر على شاطئ النيل وهو وقتئذ أقرب إلى الشرق من موضعه الحالى لأنه كان يجرى جانب المرتفع المشيد عليه جامع عمرو بن العاص ثم ابتعد عنه على توالى الزمن نحو خمسمائة متر. وكان العسكر يحده جنوبًا كوم الجارح حيث تمتد الآن قناطر العيون (المجرى) وشمالاً شارع مراسينا، إلى ميدان السيدة زينب حيث قناطر السباع أمام المشهد الزينبى، وغربًا بين شارعى السد والدبورة، وشرقًا خط تصورى يمتد من مسطبة فرعون بجوار مسجد الجاولى بشارع مراسينا إلى اسيدة نفيسة المعروف قديمًا بباب المقدم. وفى عهد المقريزى لم يبق للعسكر ذكر بل كان اسم القطائع هو المعروف - تعليق الأستاذ محمد بك رمزى.

حملوا رأسه وطافوا المدن ليتأكد الناس أن الخلافة قد انتقلت من البيت الأموى إلى البيت العباسى.

وكان رجال العباسيين لم يرضوا أن يسكنوا بيوت الفسطاط، إما لرغبة فى التجديد واتخاذ عاصمة جديدة كما جرت العادة فى الشرق منذ قديم الزمان. وإما لأن مروان بن محمد كان قبل قتله قد أضرم النار فى الفسطاط فدمرت جزءًا كبيرًا منها. فأنشأوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة فى مصر فى مكان عرف فى صدر الإسلام باسم الحمراء القصوى، وكان يمتد إلى جبل يشكر الذى بنى ابن طولون على قمته مسجده الجامع. وفى ذلك المكان أقام العباسيون دورهم واتخذوا مساكنهم، وبنى صالح بن على دار الإمارة وثكن الجند ثم شيد الفضل بن صالح مسجد العسكر. وبمرور الأيام اتصلت العسكر بالفسطاط وأصبحتا مدينة كبيرة خطت فيها الشوارع وشيدت عليها المساجد والدور والبساتين والأسواق. وفى القطائع بنى الأمير أحمد بن طولون فيما بعد بيمارستانه بالقرب من بركة قارون التى ردمت وشيد عليها كافور الأخشيدى دارًا صرف عليها مائة ألف دينار ليسكن فيها.

وازدهر العسكر لكثرة ما شيد فيه من الأحياء العامرة. وقد سكنها الخمسة والستون واليًا الذين حكموا مصر نائبين عن الخلفاء العباسيين مدة ١١٨ سنة، وصار حيًا زاهرًا لم يقلل من شأن الفسطاط كمركز هام للتجارة أو كعاصمة ثانية لمصر وبتوالى السنين عظمت العمارة فى العسكر إلى أن قدم أحمد بن طولون وشيد قصره بالقطائع وترك العسكر، وليس هناك اليوم أثر لهذه الضاحية، كما أن المؤرخين لم يحتفظوا بتاريخ واف لحكامها، فقد ساد عصرهم نوع من سوء الإدارة وفساد الحكم، ولقوا صعابًا كثيرة عرقلت

أعمالهم أشد مما عاناه ولاة بنى أمية فى مصر. وكان لزامًا عليهم أن يخمدوا الفتن التى أثارها الخارجون عن الإسلام أصحاب بعض المذاهب. أو يقاوموا الثورات التى شبت بين القبائل العربية أو الأقباط. وقد ظل أمراء مصر يقيمون فى دار الإمارة فى العسكر حتى بنى جوهر قائد جيوش المعز مدينة القاهرة وتخربت العسكر فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى على أثر الشدة العظمى كما ذكرنا حينما تكلمنا عن خراب الفسطاط.

ولسنا فى حاجة إلى أن نصف الفترة من حكم العرب فى الفسطاط أو العسكر فإن ولاة العسكر لم يتركوا أثرًا لهم نستدل منه على أعمال الإصلاح التى قاموا بها. لكننا نقول أن العسكر عمرت كقاعدة رسمية لمصر الإسلامية أكثر من قرن (١٣٣ - ٢٥٦هـ) وتناول المقريزى وصف ما آلت إليه العسكر وذكر بإسهاب ما كا فيها من الدور والبساتين والمساجد والأسواق والحمامات. . . إلخ.

* * *

قطائع بنى طولون

فإن انتقلنا إلى العصر الذى زاد فيه نفوذ الجند الأتراك فى خدمة الخليفة العباسى رأينا مقاليد الأمور أصبحت فى أيديهم وأنهم استولوا على أكبر مناصب الدولة وصار منهم أكثر الولاة والعمال، وقدم إلى وادى النيل أول وال تركى الأصل سنة ٨٤٦. ثم بدأ الخلفاء فى إقطاع مصر أولياء عهودهم أو كبار القواد من الترك، وكان هؤلاء القواد لا يميلون إلى الابتعاد عن العاصمة العباسية خشية الدسائس فكانوا يرسلون إلى مصر عمالاً من قبلهم. وكانت مصر من نصيب أحد كبار الأتراك واسمه (باكباك) ولاه عليها الخليفة المعتز بن المتوكل ونظرًا لما كان الشاب أحمد بن طولون من المكانة الطيبة انتخبه باكباك قائدًا للحامية العسكرية فى الفسطاط، وكان طموحًا إلى المجد فلم يمض على ولايته فى مصر عامان حتى استقل بملكها.

رأى ابن طولون أن العسكر أصبحت لا تتسع لحاشيته وتضيق بمطامعه، فأخذ يبحث عن موقع آخر قريب من الفسطاط. فصعد إلى المقطم ونظر إلى ما حوله فرأى بين العسكر والمقطم بقمة فضاء إلا من بعض المدافن مساحتها نحو ميل مربع فأمر بهدمها ليقيم عليها عاصمته واختط فى وضعها مدينته الجديدة القطائع ووضعت الخطط الأولى للقاعدة الجديدة فى شعبان عام ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م.

ويمكن القول بأن حدود العاصمة الجديدة امتدت بين حد الفسطاط الشمالى حيث جبل يشكر وبين سفح المقطم فى مكان عرف وقتئذ بقبة الهواء. وفيما بين الرميلة تحت القلعة إلى مشهد الرأس الذى عرف فيما بعد

بمشهد زيـن العابدين واختط الأميـر ابن طولون قصره وأمر أصحـابه ورجاله وأتبـاعه بأن يشـيدوا بيوتـهم فاتصل البناء بعـمارة الفـسطاط. وأقطعت كل جماعـة من الأتباع والجنود منطقة خـاصة سميت كل قطعـة بمن سكنها، ثم عمـرت القطائع عمـارة حسنة وتفرقت فـيها السكـك والأزقة. وبنيت فيـها المساجد والطواحين والحمامات والأفران. . . إلخ.

ولما كثر أتباع ابن طولون حتى ضاق بهـم جامع العسكر التمسوا منه أن يشيد لهم جامعًا آخر أوسع من الجامع الأول فأجابهم إلى التماسهم، واحتفل بوضع أساسـه على جبل يشكر عام (٢٦٣هـ - ٨٧٦م) وانتـهى تشييـده بعد عامين، وقـد غالى فى زخرفـته الداخلية وعلق فـى سقفه الـقناديل بسلاسل نحاسيـة طويلة ونقش على افريزه آيات من القرآن لا يزال بعـضها ظاهرًا إلى اليـوم. وهذا الجامع هو الأثـر الوحيـد الذى خلد اسم ابن طولون على مـر العصـور حتى اليـوم - وهو فى طليعة أجـمل الآثار فى مصر ويـعتبـر علمًا ظاهرًا فى تاريخ العمارة الإسلامية.

تولى الحكم «خمـارويه» بعد وفاة أبيـه فنقل قاعدة حـكمه إلى القطائع وأقبل على عـمارة قصر أبـيه وزاد فيهـا كثيـرًا وأخذ الميدان المجاور للمـيدان وحوله إلى بستان فتان وزرع فيـه أنواع الرياحين وأصناف الشجر وكسا جذوع النخل بالنحاس المذهب والمفضض، وأنشأ فى وسط قصره بركة ملأها بالزئبق وجعل فى أركـان البركـة سلكًا من فضـة وجعل فى السلك زنانيـر من حرير محكمة الصنع فى حلق من فضة وعمل فرشًا من آدم يمشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزئبق ويشد بالزنانير التى فى حلق الفضة المقـدم ذكرها. وينزل خمارويه فينام عـلى هذا الفرش. فلا يزال يرتج

ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه بينما يحرسه أسده الأزرق العينين، وبوفاة خمارويه هوى نجم الأسرة الطولونية وأخذت فى الانحلال وأقبل محمد بن سليمان القائد العباسى للاستيلاء على البلاد فبلغ الحدود المصرية وهزم الأسطول المصرى ثم انقض على القطائع (٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) وألقى النار فيها فالتهمت الدور والمساجد والحمامات ونهب أصحابه الفسطاط ودمرت الضاحية الجميلة. ثم عادت الفسطاط مرة ثانية مقرًا للحكومة، ولما أصيبت مصر بالمجاعة فى أيام المستنصر (٤٥٧ - ٤٦٤هـ/ ١٠٦٥ - ١٠٧٢م) قضت على البقية الباقية من مخلفاتها الخربة وأصبحت القطائع والعسكر أثرًا بعد عين ولم يبق غير الجامع الكبير.

كانت القطائع أول مدينة بمعنى الكلمة أنشئت فى وادى النيل فى العهد الإسلامى، روعى فى إنشائها وتخطيطها القواعد الفنية التى اتبعت عند تأسيس مدينة سامرا فى العراق، ولما كان الخليفة المعتصم قد أمر قائده أشناس ببناء سامرا عام ٨٣٦م بعد أن صعب عليه التوفيق بين سكان بغداد ورجال حرس الخليفة الأتراك، فإن ابن طولون بعد قدومه من بلاد الجزيرة رأى أن يتلافى الخطر بنفسه فتدارك الأمر وأنشأ الضاحية ليبتعد عن الفسطاط وجعلها عاصمة ملكه الساطع واتخذها بعده خلفاؤه من أسرته. كانت أوجه الشبه متقاربة جدًا بين مدينة ابن طولون وبين سامرا، فقد كانت كل منهما مقسمة إلى خطط أو قطائع تضم كل قطعة منها السكان الذين تجمعهم رابطة العرق أو رابطة العمل، وأصبح اسم القطائع علمًا على مدينة ابن طولون. وقد كان هذا الاسم يطلق فى سامرا على كل أحياء المدينة إلا القصور الملكية[1] وأمامه ميدان للعب الكرة وحدائق غناء وطرق متقاطعة.

(١) الدكتور زكى محمد حسن: الفن الإسلامى فى مصر جـ١ ص ٥٧ و ٥٨.

وكان طراز العـمارة والزخـرف الذى استخـدم فى إنشاء الدور الخـاصة والعامة فى سامرا قد انتقل مع ابن طولون إلى مصر قبل أن يمضى على إنشاء سامرا نفسها أكـثر من أربع وثلاثين سنة. ومما يؤيد ذلك تأييدًا ماديًا الزخارف الجصيـة التى عصر عليها على جدران دار طـولونية كشفتهـا دار الآثار العربية عام ١٩٣٢م[١].

* * *

(١) راجع الفصل الخاص بالفن الطولونى من كتاب الدكتور زكى محمد حسن:

Les Tulunides. Paris 1933.

آثار القطائع

جامع ابن طولون

يعتبر جامع ابن طولون ثالث الجوامع التى شيدت بمصر الإسلامية، أنشأه أحمد بن طولون سنة ٢٦٥هـ (٨٧٨ - ٧٦) وسط مدينة القطائع ليكون مسجداً جامعًا، وتبلغ مساحته حوالى ستة أفدنة ونصف فدان، وهو مربع الشكل تقريبًا، تحيط به من جهاته البحرية والقبلية والغربية زيادات ثلاث، لم تتواجد فى غيره من مساجد مصر. وتقدر مساحة الجامع بدون الزيادات ١٢٢,٢٦ × ١٤٠,٣٣ مترًا، ويتكون المسجد من صحن مكشوف مربع فى وسطه، مساحته حوالى ٩٢ مترًا مربعًا، وتحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة الذى يتكون من خمس بلاطات وكل من الأروق الثلاثة الباقية يتكون من بلاطتين فقط، ومن هذا المسجد مبنى بالآجر، ويتوسط الصحن فوارة تعلوها قبة محمولة على صفوف من المقرنصات شيدها السلطان حسام الدين لاچين سنة ٦٩٦هـ (١٢٩٦ - ١٢٩٧م).

ويعلو العقود من داخل الأروقة افريز زخرفى من الجص يعلوه ايزار خشبى يحيط بأروقة الجامع كتبت عليه كتابات قرآنية بالخط الكوفى البارز، والسقف مكون من كمرات أفقية من جذوع النخل مسمر من جانبيها ومن أسفلها ألواح خشبية.

وتشتمل بطـون العقود وما حول النوافـذ والعقود على زخارف جـصية تمثل الزخارف الجـصية العباسـية التى عثر على مـا يشبهها فى مـدينة سر من رأى. أما المحاريب الجصية المستوية وهـى غير المحراب الأصلى المجوف المثبتة فى بعض أكتاب ايوان المحراب فجميعها تنسب إلى أيام الخلفاء والفاطميين ما عدا اثنين أحدهما أنشأه السلطان لاچين على مثال المحراب المستنصرى المجاور له والآخر بجدار القبلة.

والسلطان لاچين الذى مـر ذكـره (تولى الحكم ٦٩٦هـ - ١٢٩٦م) هو الذى قام بعمارة كـبيرة بالجامع، تناولت إصلاحه إصلاحًـا شاملاً وذلك وفاء لنذر نذره لتعمير الجامع، حينما اخـتفى فى مئذنته أثناء فتنة. وقد وفى بنذره وعهد إلى الأمير علم الدين سنجر الداوادارى بإجراء تلك الإصلاحات.

وأعجب ما يمتاز به هذا الجامع، مـئذنته ذات السلم الخارجى الحلزونى، المتأثرة إلى حد كـبير بمئذنة المسجـد الكبير بسامراء، وهى المـئذنة الفريدة التى شيدت بهذا الطراز فى مـصر. وتتكون من قاعدة مربعة أضـيفت للمئذنة فى عمـر السلطان لاچين ويعلوها منطقـة متـوسطة أسطوانية يـجرى حولهـا من الخارج درج يوصل إلى المنطقـة العلوية التى تتكون من مثمنين العلـوى أصغر من السفلى، وفى قمـة المئذنة توجد طاقية مضلعـة على شكل المبخرة، ويبلغ ارتفاع المئذنة عـن سطح الأرض ٤٤,٤٠ مترًا، ويربط المئذنة بجـدار المسجد الشـمالى الغـربى قنطرة على عقـدين من طراز حدوة الفـرس، وتنسب هذه القنطرة إلى السلطان لاچين[١].

(١) كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية فى مصر، ص ٤٢.

وقد أجريت بالجـامع عدة إصلاحات فى عصـور مختلفة، منهـا عمارة بدر الجمـالى الوزير الفاطمى سنة ٤٧٠هـ (١٠٧٧م) كـما أثبت فى لوح من الرخام فـوق باب سور الزيادة البحـرية، وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العـربية بإصلاح المسجد منذ عام ١٨٨٢م.

* * *

تراث الفسطاط

فى الفن الإسلامى

وبالرغم من خراب الفسطاط منذ قرون، فإنها ما زالت ينبوعًا يزخر بمخلفات الفن الإسلامى ولطائفه البديعة. فكلما نقب الآثاريون فيها، عثروا على قطع الخزف، والنسيج، والخشب، والزجاج، والعاج، والمعادن مما يلقى الضوء على نتاجها الفنى الذى لا ينضب! يشهد بذلك ما نراه اليوم فى متاحف الفنون فى العالم: متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، وفكتوريا وألبرت بلندن، واللوفر بباريس، ومتروبوليتان بنيويورك.

فقد أمدتنا أطلال الفسطاط منذ وقت طويل بعشرات الألوف من لقطع الخزفية التى تمثل شتى أنواع الخزف الإسلامى والمواد الأخرى، تطوى المدة بين القرنين السابع والسابع عشر. وطبيعى لم يكن كل ما عثر عليه من صناعة مصر، إذ إن بعضه مستورد من العراق وسورية وتركيا وإيران.

ومتحف الفن الإسلامى بالقاهرة غنى بالنماذج الجميلة من قطع الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى، والتى عثر على معظمها بالفسطاط، ويحمل الكثير من تلك القطع أسماء صانعيها على ظواهر قاعداتها، وفى طليعتهم سعد ومسلم. وتبدو الصلة واضحة بين ما أنتجه سعد ومدرسته وبين الخزف ذى البريق المعدنى فيما قبل العصر الفاطمى، ولا سيما فى رسوم الحيوان. ومما يميز أسلوب هذه المدرسة براعة الفنان فى ساتخدام فِرجونه، والدقة الملحوظة فى إتقان رسوم الأشخاص والحيوان فوق الأرضية النباتية المتقنة. ومن أهم القطع الجميلة المعروفة مما صنع الفنان سعد الفسطاطى، سلطانية

بمجموعة كليكيان بمتحف فكتوريا وألبرت بلندن، عليها رسم شخص يحمل فى يده مشكاة أو مبخرة على الأرجح. وهناك سلطانية من إنتاج مسلم فى متحف متروبوليتان يزينها رسم بالبريق المعدنى الذهبى لنسر نشر جناحيه، فغطى فراغ الإناء.

وإلى جانب هذين الخزافيين، فقد وصلت إلينا إمضاءات بعض الفنانين المصريين فى العصر الفاطمى، مثل طبيب على، وإبراهيم المصرى، وساجى، وأبى الفرج وابن نظيف والدهان، ويوسف، والحسينى، وأولاد الفاخورى، وغيرهم، وتوجد أسماؤهم على قطع خزفية محفوظة فى متحف الفن الإسلامى.

وقد كشفت حفائر الفسطاط عن كميات وافرة من الخزف الصينى والخزف الذى أنتجه الخزفيون المصريون، وغالبيتهم من أهل الفسطاط تقليداً له. ولعل أهم أنواع الخزف فى عصرى الأيوبيين والمماليك، إنما هو النوع ذو الزخارف المنقوشة تحت دهان شفاف باللون الأزرق أو الأخضر. وقد عثر على قطع منه فى حفائر الفسطاط وفى الرقة وبعلبك ودمشق.

ويعتبر ما كشفت عنه حفريات الفسطاط من بقايا الأبسطة، ذا أهمية كبيرة فيما يتعلق بتاريخ عقد الأبسطة ونشأتها. وبين محتويات متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، قطعتان من تلك المخلفات عليها كتابات كوفية، تحمل إحداهما تاريخًا، يرجح أن يكون ١٠٢هـ (٧٢٠/٧٢١م) أو ٢٠٢هـ (٨١٧/٨١٨م). وهناك قطعة ثالثة وجدت بمصر، وعليها كتابات كوفية تشبه الكتابة التى على القطعتين السابقتين، وهى محفوظة الآن بمتحف النسيج بواشنطن، وتعتبر هذه القطع الثلاث وغيرها، نماذج للأبسطة ذات الوبر من

العصر العباسى. وفى متحف متروبوليتان قطعة هامة، عثر عليها بالفسطاط، وتزينها زخارف تشبه الدنتلة وشريط من المثلثات والأقراص المستديرة باللون الأزرق والأصفر والأخضر والبنى على أرضية حمراء. والإطار عبارة عن شريط من الكتابة الكوفية باللون الأصفر على أرضية زرقاء داكنة، ويمكن أن ننسب هذه القطعة إلى العصر الفاطمى (القرن ١١/ ١٢).

وهناك أيضًا فى متاحف الفنون، قطع كثيرة من مختلف أنواع النسيج الذى كان يصنع بالفسطاط، من الصوف أو القطن أو الكتان أو الحرير. ويلاحظ أن زخارفها متعددة الألوان، وأكثرها رسوم طيور أو حيوان أو أشكال آدمية صغيرة، وفيها أشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة. وعلى كثير من تلك القطع، شريط أفقى أو أشرطة أفقية من الرسوم توازيها أشرطة من الكتابة الكوفية.

وقد عثر فى الفسطاط على عدة قطع من العظم المحفور ترجع إلى أوائل العصر الإسلامى، كما أنه وجدت عدة لوحات من أشكال مختلفة من العاج والعظم (القرن ١٠ - ١٢) تزينها كوضوعات آدمية جميلة. وفى متحف متروبوليتان قطعة من لوح من العظم عليها صورة صياد وغزال عل أرضية من التفريعات النباتية تدل على حسن ذوق صانعها.

ومما وجد المنقبون فى حفائر الفسطاط قرص صغير مستدير من الذهب، محفوظ فى متحف الفن الإسلامى. ووجه هذا القرص مقعَّر ومغطى بالميناء، وقسَّم إلى ثلاثة أقسام. فى الأوسط كتابة كوفية بيضاء مزخرفة باللون الأحمر على أرضية سنجابية اللون. ونصها: «فالله خير حافظًا»، وبالقسمين الأعلى

والأسفل زخرفة حمراء محدودة بالذهب على أرضية خضراء، وعثر أيضًا على أسورة وخواتم وأقراط من الذهب أو الفضة[1].

وعلى العموم، لقد أكد لنا المؤرخون والرحالة، عربًا كانوا أو غير عرب، ممن زاروا مصر - مكانة الفسطاط فى الصناعة، وعلو كعبتها فى التجارة وعالم المال... حتى بعد أن أسست القاهرة فى القرن العاشر.. وكان ذلك بفضل موقعها الهام على النيل. وقد اشتهرت الفسطاط، حتى القرن الثالث عشر، بصنع أدوات الصلب، والأوانى النحاسية، والصابون، والقوارير الزجاجية والبلورية، والصحون الزخرفية، والورق، علاوة على ما كانت تنتجه من السكر والمنسوجات البديعة.

* * *

هكذا رأينا الفسطاط التى ازدهرت أولاً كقاعدة مصر الإسلامية ومنارة للدين الحنيف، ومركزًا تنبعث منه ألوان الحضارة العربية الأصيلة. قد أمدتنا أطلالها وخرائبها على مر الأعوام، بآلاف النماذج الفنية الرائعة التى تشهد إلى اليوم بما وصلت إليه البلاد فى إنتاج اللطائف البديعة، فنافست مثيلاتها من مدن الشرق العربى والإسلامى خلال العصور الوسطى!

* * *

(١) زكى محمد حسن: فنون الإسلام، ص ٥٢١ ٥٢٢.

مراجع للمطالعة

- ابن سعيد المغربى (ت حوالى أواخر القرن ١٣): كتاب المغرب فى حلى المغرب، طبعة جامعة القاهرة، عام ١٩٥٠.
- عبد اللطيف البغدادى (٦٢٩هـ/ ١٢٣١م): الإفادة والاعتبار فى الأمور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، طبعة المجلة الجديدة بالقاهرة، وطبعات أوروبية أخرى.
- عبد الرحمن الجبرتى (ت ١٨٢٥): عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جزءان، طبعة بولاق، عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م.
- على مبارك (ت ١٨٩٣م): الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة، ٢٠ جزءًا فى ٥ مجلدات، طبعة بولاق ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م.
- القلقشندى، شهاب الدين أحمد (ت ١٤١٨): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ١٤ جزءًا، طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣ - ١٩١٧م.
- المقريزى، تقى الدين أحمد (ت ١٤٤١): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مجلدان، طبعة بولاق ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م.

كتب حديثة ومقالات

- أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ ١ (المدخل)، دار المعارف، ١٩٦٤م.
- حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها، طبعة دار النشر للجامعات المصرية، عام ١٩٥٧م.
- زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، دار المعارف، عام ١٩٤٥م.
- زكى محمد حسن وعبد الرحمن زكى: فى مصر الإسلامية، مقالات منوعة لطائفة من الأساتذة، طبعة المقتطف ١٩٣٧م.
- عبد الرحمن زكى: القاهرة، ٣ أجزاء، مطبعة حجازى عام ١٩٣٢م.
- شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، دار الهلال ١٩٥٩م.
- فؤاد فرج: القاهرة، ٣ أجزاء، مطبعة دار المعارف ١٩٤٥ / ١٩٤٦م.
- محمد رمزى: بحوث منوعة فى طائفة من المجلات، القاهرة.
- محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣١م.
- محمود أحمد: دليل موجز لأشهر الآثار العربية، القاهرة، مطبعة بولاق ١٩٣٨م.

- يوسف أحمد: جامع سيدنا عمرو بن العاص، عام ١٩٧١م.
- يحيى الخشاب: سفرنامه لناصر خسرو، مطبوعات معهد اللغات الشرقية، كلية آداب جامعة القاهرة، ١٩٤٥م.
- دائرة المعارف الإسلامية: الترجمة العربية، القاهرة.

***

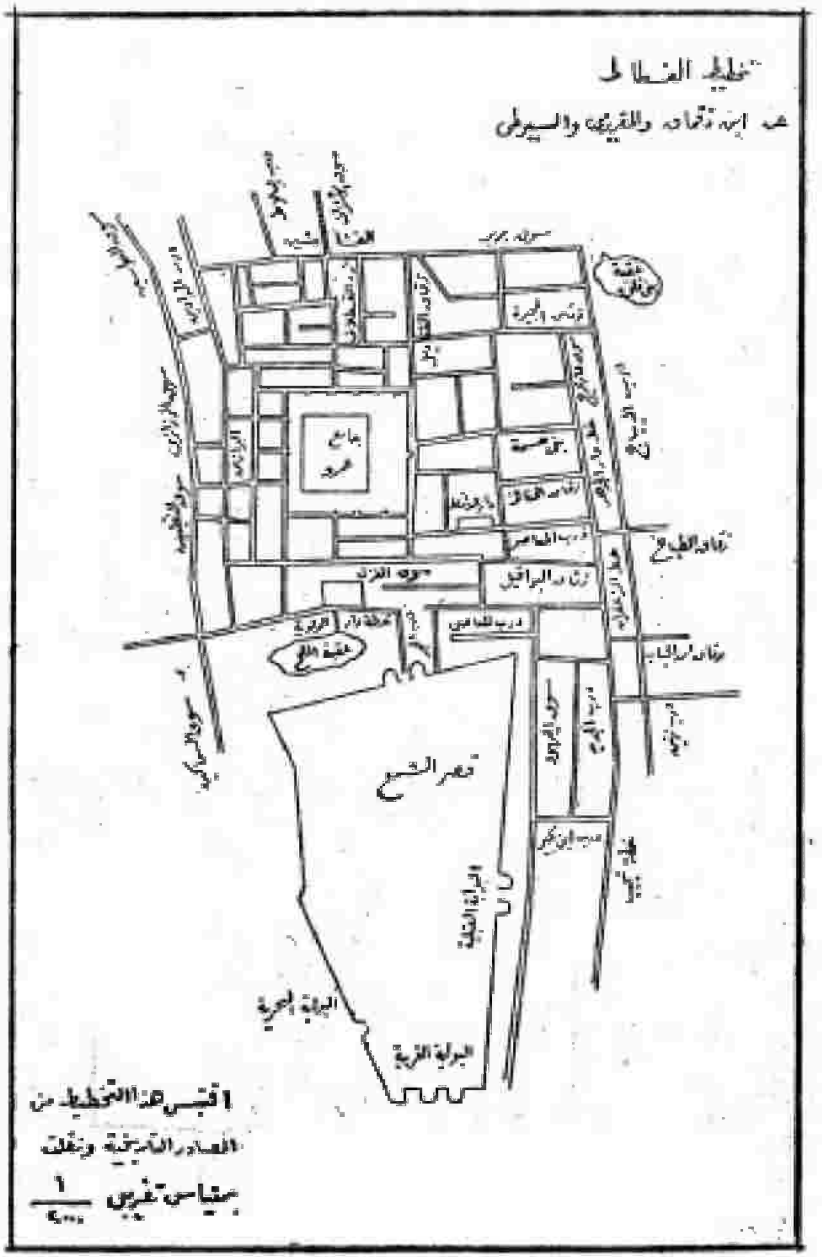
تخطيط الفسطاط
عن ابن دقماق والمقريزي والسيوطي
جامع عمرو
قصر الشمع
البرابة البحرية
البرابة القبلية
البرابة الغربية
اقتبس هذا التخطيط من
المصادر التاريخية ونقل
بمقياس تقريبي 1/5000

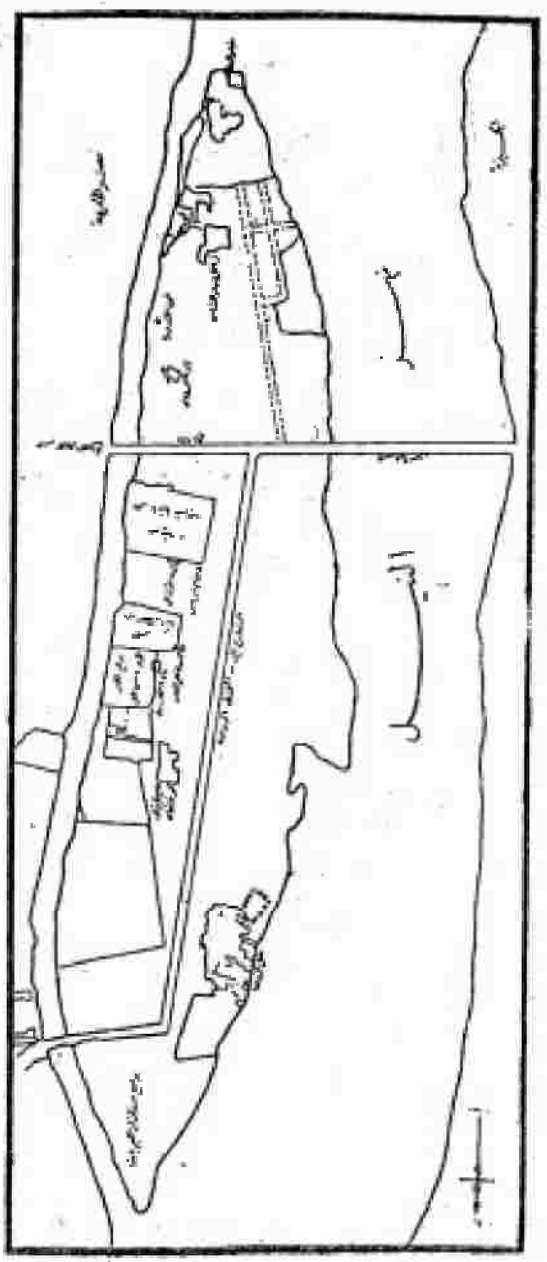

جزيرة الروضة وأهم معالمها التاريخية

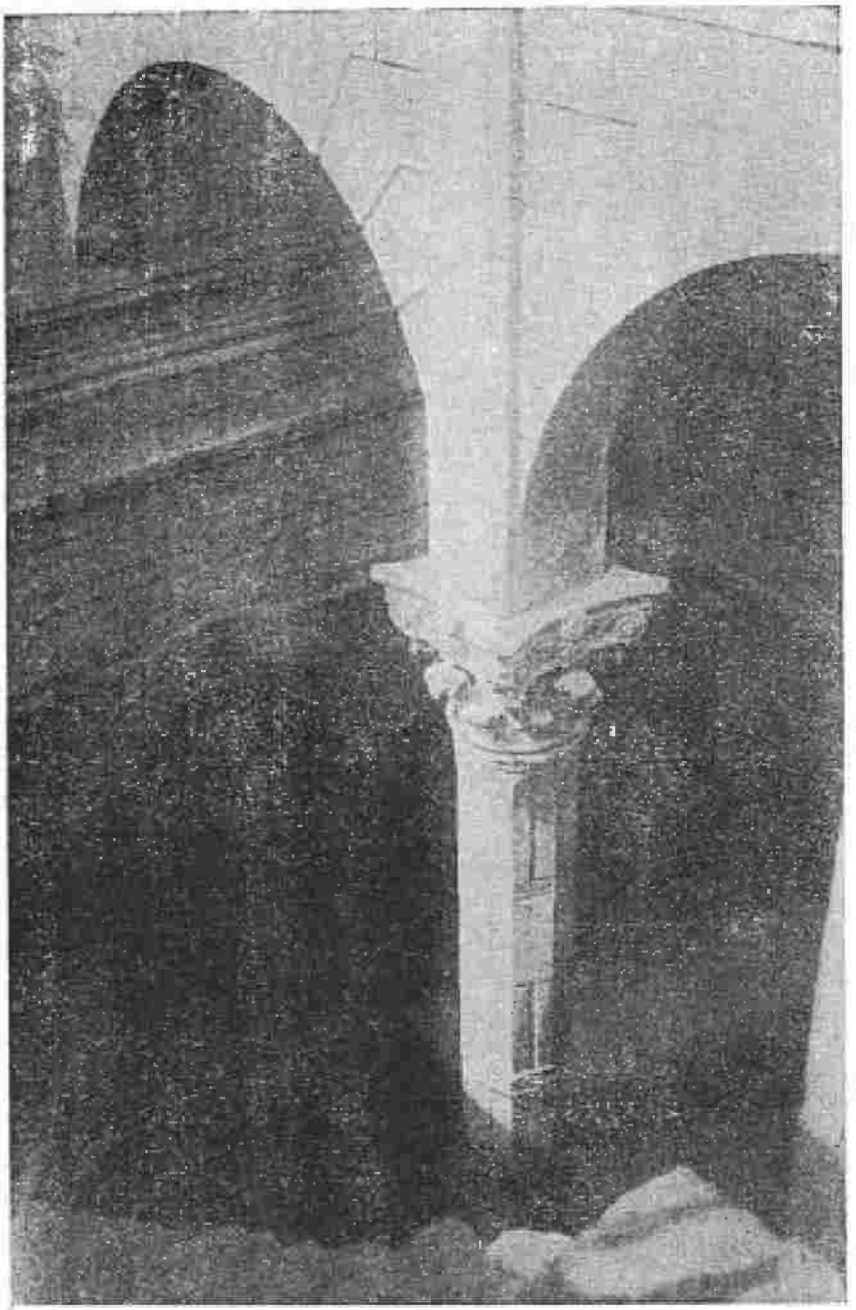

عمود مقياس النيل بالروضة تحيط به النقوش التاريخية

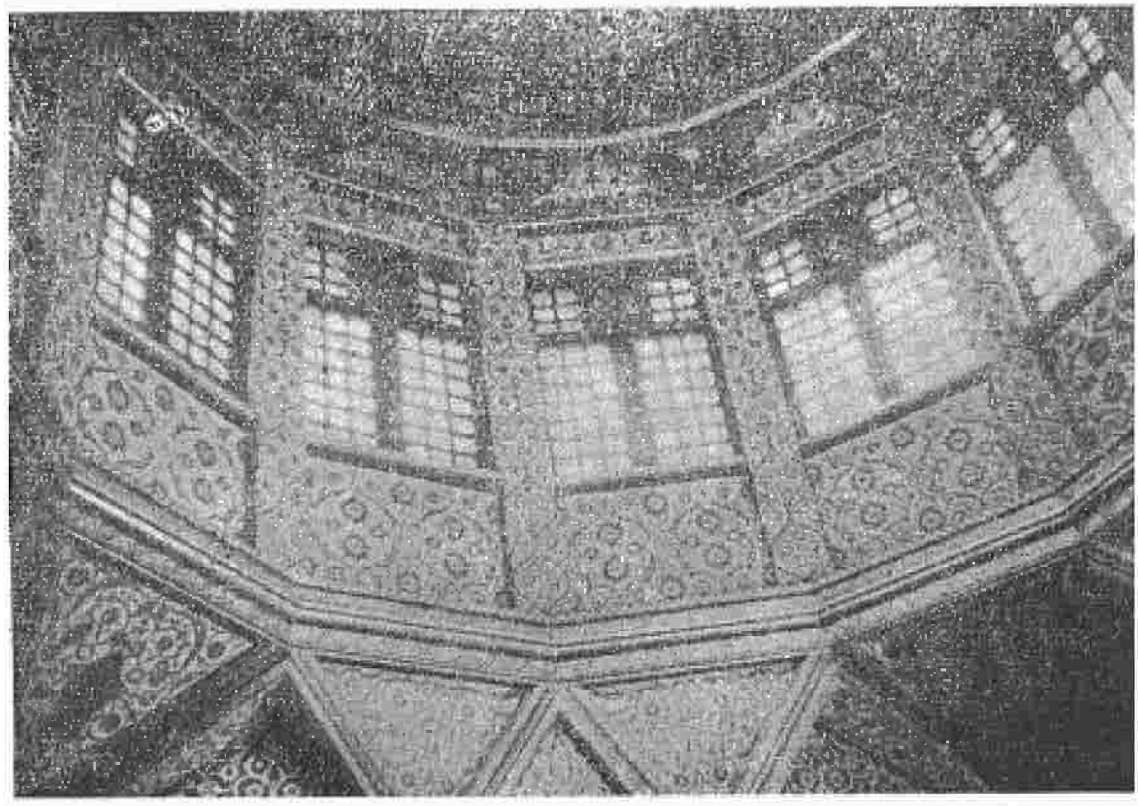

السقف الجميل الذى يعلو بناء مقياس النيل بالروضة . (مستحدث)

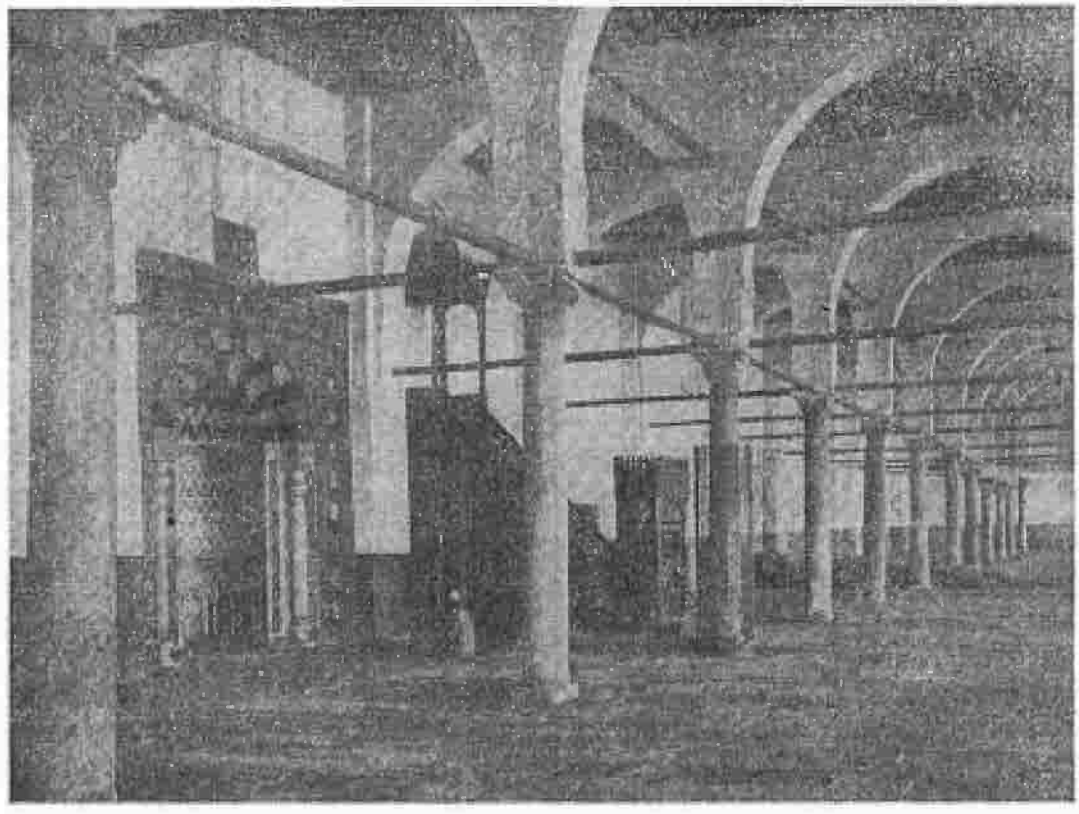

جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة

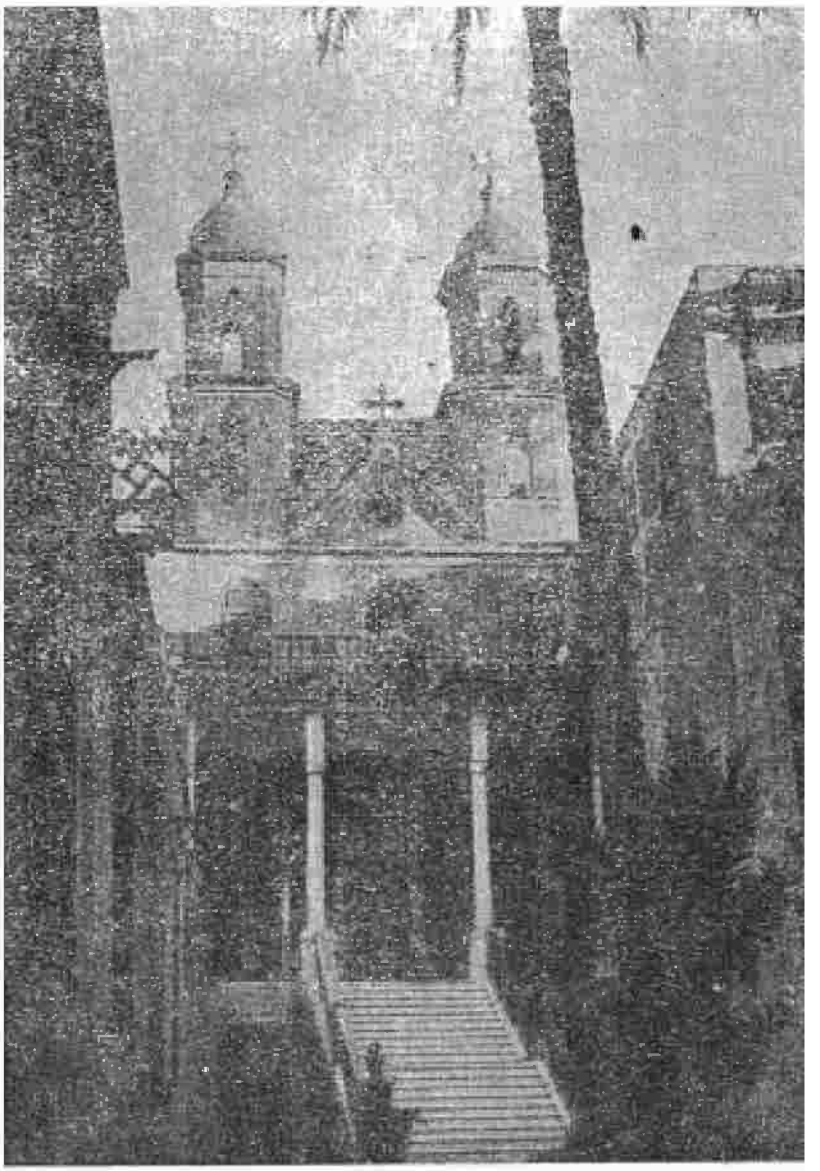

درج الكنيسة المعلقة بمصر القديمة تعلوها الابراج

جامع ابن طولون تتوسطه النافورة (الميضأة) وتبدو مئذنته الفريدة الى شمال الصورة

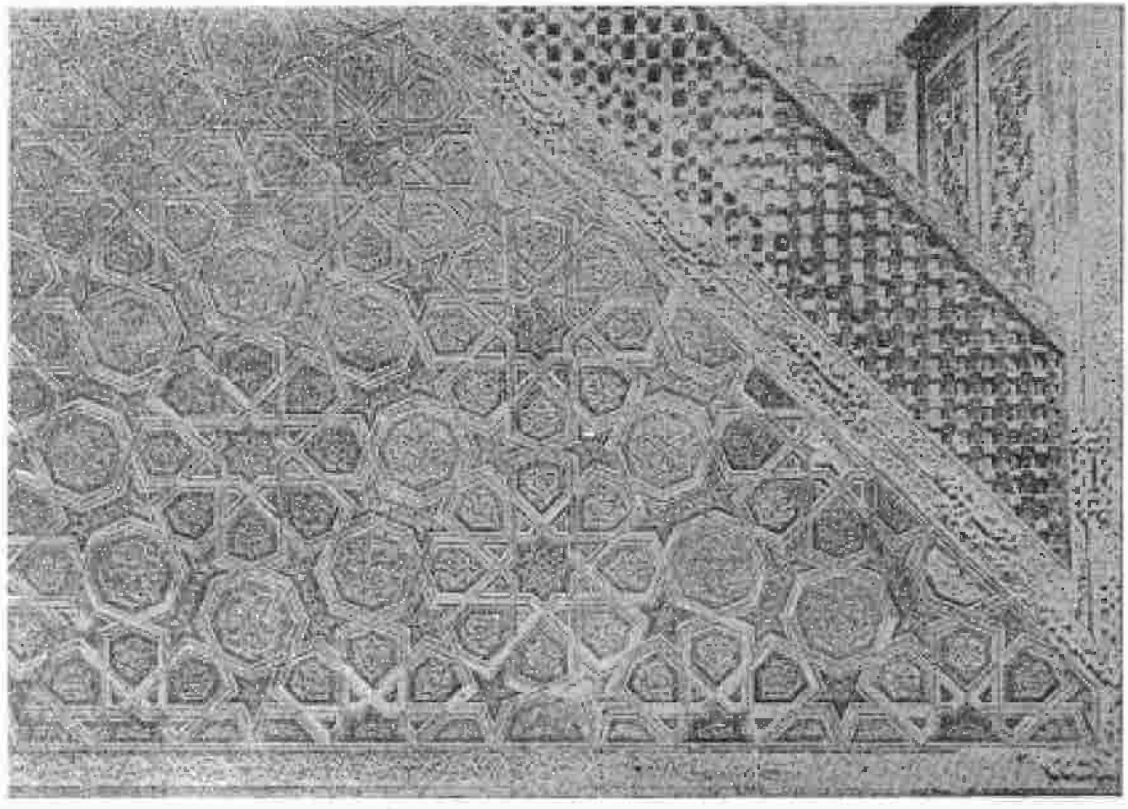

منبر المنصور لاچين بجامع ابن طولون

فهرست الصور

الصورة	الصفحة
١ - موقع الفسطاط (فى مقدمة الكتاب)	٥
٢ - إحدى دور الفسطاط	٣٤
٣ - تخطيط الفسطاط	٩١
٤ - جزيرة الروضة وأهم عمائرها التاريخية	٩٢
٥ - عمود مقياس النيل بالروضة	٩٣
٦ - السقف الجميل الذى يعلو بناء مقياس الروضة	٩٤
٧ - جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة	٩٥
٨ - درج الكنيسة المعلقة	٩٦
٩ - جامع ابن طولون	٩٧
١٠ - منبر المنصور لاچين بجامع ابن طولون	٩٨

الفهرست

الموضوع	الصفحة
الفسطاط:	
المقدمة	٧
فسطاط عمرو	١١
الجامع العتيق	١٢
طقس الفسطاط	١٦
خطط الفسطاط	١٨
دور الفسطاط	٢٠
الشرطة فى الفسطاط	٢٤
آبار الفسطاط	٢٧
خليج أمير المؤمنين	٢٨
ميناء الفسطاط	٢٩
القرافة	٣٠
حريق الفسطاط	٣١
العلم والعلماء فى الفسطاط	٣٥
الفسطاط والرحالة:	
الفسطاط فيما كتبة الرحالة عنها - ناصر خسرو	٤١
على بن سعيد المغربى	٥١
معالم الفسطاط	
آثار الفسطاط ومعالمها - الجامع العتيق	٦٣

الموضوع	الصفحة
مقياس النيل بالروضة	٦٧
كنائس الفسطاط وأديرتها - الكنيسة المعلقة	٦٨
كنيسة أبى سرجة	٦٩
كنيسة الست بربارة	٧٠
كنيسة القديس مرقوريوس	٧١
ضاحيتا الفسطاط	
عسكر بنى العباس وقطائع بنى طولون	٧٢
جامع ابن طولون	٧٩
تراث الفسطاط فى الفن الإسلامى	٨٢
مراجع للمطالعة	٨٧